المبحث الثاني

التطور التاريخي لحقوق الانسان

ان التاريخ حلقات متصلة يكمل بعضه بعضا فالماضي وسيلة لفهم الحاضر كما انت الحاضر يعيش في الماضي وكلاهما يرسمان ملامح المستقبل وموضوع حقوق الانسان ليس وليد العصر الحاضر وإنما هو قديم قدم الانسانية نفسها ويشكل جزءا لا يتجزأ من تاريخها وقد ارتبط بالمجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة وتأثر سلبا وإيجابا بالظروف الزمنية والمكانية لتلك المجتمعات وبالتيارات الفكرية والتقاليد السائدة فيها كما ارتبط بشرائع السماوية وأخرها الشريعة الاسلامية.

لذا يجب ان نتعرف على تاريخ حقوق الانسان ونفهم مراحل تطورها ولنستعيد ثقتنا بديننا وأنفسنا فالإسلام هو اول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الانسان في اكمل صورة وأوسع نطاق وهذه المبادئ التي طالما صدرناها للناس يعاد تصديرها الينا على انها من الغرب.

ان تاريخ حقوق الانسان مرت بثلاث مراحل اساسية هي:

المرحلة الأولى حقوق الانسان في الحضارات والمجتمعات القديمة وتبدأ هذه المرحلة من بدأ الخليقة الى القرن الخامس الميلادي بسقوط الامبراطورية الرومانية.

المرحلة الثانية : حقوق الانسان في العصور الوسطى وتبدأ من ظهور الاسلام الى القرن الخامس الميلادي وتنتهي بالقرن الخامس عشر الميلادي وتحديدا عام ١٤٩٢م.

المرحلة الثالثة: حقوق الانسان في العصر الحديث وتبدأ من القرن الخامس عشر الميلادي على ان هذه المراحل لم تكن منفصلة تماما بعضها على بعض ولا توجد فواصل زمنية محددة بينها فحقوق الانسان لم تنتقل من مرحلة الى اخرى دفعة واحدة وإنما على شكل مراحل اذ كان اعلان الاستقلال الامريكي لحقوق الانسان عام ١٧٧٦م والإعلان الفرنسي لحقوق الانسان ١٧٨٩م كفواصل بين هذه المراحل لان هذه الاحداث الثلاثة تشكل نقطة تحول مهمة في تاريخ مسيرة حقوق الانسان.

حقوق الانسان في بعض الحضارات القديمة

١. حضارة بلاد وادي الرافدين : ان الحقب التاريخية التي مرت على العراق القديم هي العهد السومري والاكدي والاشوري والبابلي وقد شهدت تطورا كبيرا في التمدن الانساني وان حضارة بلاد الرافدين (العراق القديم) هي اقدم حضارة في العالم من خلال تاريخه في جوانبه المختلفة: الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي.

الذي يهمنا الجانب الاجتماعي فقد أنشا اكثر القوانين لاعطاء الانسان حقوقه والتعرف بواجباته فالحرية والعدالة والمساواة كانت من الافكار الاساسية التي تجسدت في كثير من القوانين منها : قانون اور–نمو ، قانون لبت – عشتار ،

قانون اشنونا ، قانون حمورابي، القوانين الاشورية. ولا ننكران هنالك طبقات في المجتمع العراقي القديم وهي طبقة الاحرار وطبقة العبيد وطبقة الوسطى حالة كحال بقيت المجتمعات القديمة كالمجتمع المصري واليهودي والاغريقي والروماني وان التمييز ما بين طبقتين رئيستين فقد هي طبقة الاحرار وطبقة العبيد ويلاحظ ان حال طبقة العبيد في العراق القديم كانت احسن بكثير من الوجهتين الاجتماعية والقانونية اذا قارنها بحال العبيد في المجتمعات القديمة الاخرى فكان الحكام العراقيون والمصلحون والاجتماعيون يسعون دائما لأعطاء المزيد من الحماية لطبقة العبيد وخلاصها من العبودية كما ان المجتمع العراقي لم يكن مجتمعا طبقيا مقفلا بل ان الاساس لتميز بين الافراد وهو حالة الفرد الاقتصادية وامكاناته المادية وذلك بسبب اعتماد المجتمع العراقي القديم على التجارة ولكن ما يحسب له على انه مجتمع انساني فمن خلال وقوف القوانين العراقية بجانب الطبقة الكادحة وحمايتها من الاستغلال من قبل الاغنياء والمتنفذين.

٢. الحضارة اليونانية: وهي حضارة تمتاز بالفكر الفلسفي والسياسي ومن ابرز المفكرين اليونانين الذين اهتموا بالسياسة وحقوق الانسان هو (صولون) (الذي توفي : ٦٥٠ ق.م) والذي اصدر قانونا عرف بأسم قانون صولون حيث اكد فيه على الغاء الرق ووضغ نظام للشراكة ووضع قاعدة لتقسيم التركة.

منذ قيام حضارة الإغريق في مدنهم ، عرفت الحرية إحدى صورها وهي المشاركة في الحكم. أي المشاركة في الأمور السياسية. إلا انه لم يكن يعترف للفرد بحرياته الشخصية.

بخصوص حق الملكية ، فقد كانت من العوامل الهامة التي أثرت في حياة اليونانيين السياسية ، وطريقتهم في الحكم ونظامه ، حيث كانت ملكية الأرض عندهم جماعية ثم تحولت إلى ملكية القبائل. وفيما يتعلق بالحقوق السياسية ، فقد اعتبرت الديمقراطية مباشرة هي الأسلوب الأمثل في للحكم ، إذ كان الحكم لكل الشعب من الوطنيين والحق لهم بالاشتراك في الحكم وكانت تشريعاتهم تقتضي باعتبار الإنسان هو الأصل في كيان الدولة .

وقد اعتبرت الحضارة الإغريقية الانتخاب وسيلة غير ديمقراطية لاختيار الحكام ، وكان الاختيار يتم بالقرعة ويعد الوسيلة الديمقراطية الصحيحة عندهم ، لكونها تحقق مبدأ المساواة ، وتكافؤ الفرص أمام الجميع للوصول إلى إشغال الوظائف العامة.

لقد كان انعدام التوازن الاجتماعي طابعاً مميزاً للمدن الإغريقية ، إذ كان المجتمع يتألف من طبقتين : طبقة الأحرار ، وطبقة الأرقاء ، وهم الذين حرموا من كل حق ، وهنا يمكن القول بأن مبدأ المساواة كان معدوماً ، وكان ينظر للرقيق بأنه خلق للطاعة والعمل ، ويرى أرسطو إن العبيد من صنع الطبيعة التي جعلت العبد من الأدوات التي لابد منها لتحقيق سعادة الأسرة اليونانية. كما أن المرأة في الشرائع والنظم اليونانية لم تكن اسعد حظاً من الرقيق ، فنصت قوانينهم على تجريد المرأة من حقوقها المدنية ووضعها تحت سيطرة الرجل في مختلف مراحل حياتها. وقد استمرت عزلة المرأة عن الحياة العامة وعن تولي أي عمل من الأعمال.

هكذا لم يعرف اليونانيين المساواة كمبدأ إنساني ، ولم يتحقق منها أي شيء ، وبظهور الرواقية التي نادت بالأخوة الإنسانية والمواطنة العالمية والمساواة بين البشر وبتحرر الأفراد من القوانين الوضعية. ظهرت إلى الوجود نواة مدرسة الحقوق الطبيعية التي يتمتع بها جميع البشر وفقاً لها ، ولمجرد كونهم بشراً ، بحقوق طبيعة تسمو على القوانين الوضعية للدول

٣. الحضارة الرومانية: توصف الحضارة الرومانية بأنها حضارة عسكرية وحضارة القانون وقد رافق هذا التوسع وجود تمييز بين المواطن الروماني وغيره من رعايا الامبراطورية اذا كان يخضع كل منهم لقانون خاص به ، الامر الذي يتنافي مع مبدأ المساواة امام القانون .

كانت الحرية عند الرومان تعني المشاركة في الأمور السياسية والوصول إلى تحقيق فكرة إقرار "حكومة شعبية يشارك فيها جميع الأفراد وكانت العدالة في نظرهم تتمثل في القانون الطبيعي.أما بخصوص الحقوق والحريات عند الرومان ، فقد عرف الرومان ملكية الأرض الفردية والجماعية. أما الحرية الدينية فلم يعرفوها فكانت تواجه الانتهاك ، وخاصة بعد انتشار المسيحية واجتذابها الناس. وفيما يتعلق بحق الانتخاب ، كان الحكام يختارون عن طريق الانتخاب من قبل المجالس الشعبية ، التي كانت تتكون من الأحرار الأثرياء. بقي التقسيم الطبقي ، والتفاوت في الحقوق والواجبات بين الأفراد والطبقات هو الطابع المميز للمجتمع الروماني. فقامت في المجتمع الروماني طبقتين. طبقة الأشراف وطبقة العامة فأصبح التمييز والتفاضل بين هذه الطبقات موجوداً في جميع مجالات حياة

الإنسان ، فلم تكن هناك مساواة أمام القانون بين الطبقتين ، ولم يعترف للطبقة العامة بحق المواطنة ، ولم يشاركوا في المجالس الشعبية. كما لم يعترف لهم بالمساواة أمام القضاء ، بل كانت تطبق عليهم قواعد قانونية خاصةفكان التمييز وانعدام مبدأ المساواة مع الأشراف والنبلاء ظاهرة ملازمة للمجتمع الروماني.

كما أن حقوق المرأة كانت مسلوبة ومنتهكة ، فلم يتقرر لها حق الانتخاب والترشيح وكانت محرومة من تولي الوظائف العامة ، كما جردت المرأة من حقوقها السياسية ، جردت أيضاً من حقوقها المدنية في مختلف مراحل حياتها ، فمنذ ولادتها تكون تحت سيطرة رب الأسرة ، سيطرة مطلقة على كافة حقوقها ، كحق الحياة والموت وحق الطرد من الأسرة وحق بيعها كالرقيق.

كما عرف الرومان الرق ، وكان وصفهم أسوأ بكثير منه عند اليونان. فكانوا يعملون نهاراً في الإقطاعيات ، وفي الليل يكبلون بالسلاسل ، وكانت تفرض عليهم أشد العقوبات.

وبهذا يتضح بأن حقوق الإنسان وحرياته عند الرومان كانت تتميز بالتفرقة والتمييز والتفاوت الطبقي وانعدام مبدأ المساواة.

حقوق الانسان في الاسلام :

لقد تميزت حقوق الانسان في الاسلام بميزات تختلف عما جاء في النظم الوضعية فهي منحة إلهية. وهذا ما اكده الاعلان العالمي لحقوق الانسان في الاسلام في مقدمته (ان حقوق الانسان في الاسلام ليست منحة من ملك او

حاكم او قرار صادر عن سلطة محلية او سلطة دولية وانما هي حقوق ملزمة مصدرها الهي لا تقبل الحذف ولا الفسخ ولا التعطيل ولا يسمح بالاعتداء عليها ولا يجوز التنازل عنها والالتزام هنا اي يجب احترامها من الحكام والمحكومين مهما كانت مكانتهم الاجتماعية لانهم متساوون في العبودية له وتتصف بالدوام فلا تحتاج اصولها للتغيير او التبديل الا ان ثباتها لا يعني عدم الاجتهاد والتوسع في فهمها بما يلائم متطلبات الحياة الجديدة وهي عامة لم توضع مدة معينة او زمان معين). وفي الاسلام هنالك ترابط بين السلطتين الدينية والدنيوية فلم يكن الاسلام دينا فقط له عقائده المعروفة بل هو دين ودولة معا وهذا دليل على شمول الإسلام لكل جوانب الحياة فضلا عن تنظيم العلاقات بين الانسان وخالقة.

نظرة الدين الاسلامي الى الانسان

ان الانسان كائن مكرم وهو سيد الكائنات جميعا ذلك ما يحمله الإسلام في شريعته وتصوره لكي تتعلم البشرية في كل زمان ومكان ان اغلى الكائنات وأعظمها هو الانسان على ان يكون مؤمنا صالحا لا جحودا ولا شريرا. ومما هو معلوم في شريعة الاسلام ان الكون بما يحويه من اجزاء وتفصيلات ومركبات مسخر اصلا للإنسان لينتفع به وبمحتوياته فيما يحقق له الخير والسعادة . وقال عز وجل ((وسخر لكم مافي السماوات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لأيات لقوم يتفكرون)) (سورة الجاثية الاية ١٣) وغيرها من الايات الكريمة التي تكشف عن تكريم الانسان لتسخير الكون وأجزاءه له وذلك من السماء والأرض بما

فيها من كواكب ونجوم وانهار وبحار وليل ونهار وزرع وماء وثمر كل ذلك جعله مسخر لذلك الكائن المميز.

فان الانسان هو سيد المخلوقات في هذا الوجود وكل الوجود عابد لله سبحانه وتعالى يدين له بالتعظيم ويقرأ له بالا ولهيه والوحدانية قال سبحانه ((تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا))(سورة الاسراء :الاية ٤٤). ان البشرية في هذا الزمان تعاني الشدائد من ويلات وكوارث وشرور كالقلق والاضطراب وافتقاد الراحة والسعادة. ان الانسان هو الكائن المفضل والمكرم الذي كتب الله له الصدارة في سلم الخليقة والكائنات جميعا قال سبحانه ((لقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطبيات وفضلناه على كثيرا ممن خلقنا تفضيلا))(سورة الاسراء :الآية ٧٠).

ومن اول الدلالات على افضلية الانسان وتميزه على غيره في هذا الكون وانه سيد الكائنات ان جعله الله في الارض خليفة وذلك اختيار رباني عظيم له مدوله الكبير الذي يؤكد افضلية الانسان ان كان مؤمنا عاملا صادقا، وذلك لما يناط به من عظيم الامانة والمسؤولية.

وما كان الانسان ليكون خليفة لولا انه مشحون بزاخر المواهب والطاقات وعظيم القدرات والاستعدادات التي تمكنه من هذه المسؤولية بالخلافة في هذه الحياة الدنيا بقوله سبحانه وتعالى ((واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة)) (سورة البقرة : الآية ٣٠).

وهناك قيم اكد عليها الاسلام وأثبتها حول حقوق الانسان وهي :

١. أصل البشر واحد وسبب استخلافه في الأرض واحد. قال تعالى : {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}. وقال رسول الله ص (كلكم من آدم) وانطلاقاً من هذا المبدأ، يقر الإسلام بمساواة العباد دون تمييز على أساس الدين أو الجنس أو العرق أو النسب.

٢- يتعين احترام الحق في الحياة. ويوجب الشرع حماية الحياة من كل أشكال الاعتداء قصد صيانة استمرارها. قال تعالى : {ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين }. وقال كذلك : { من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنَّمَا قَتَل النَّاسَ جميعاً }.

ولا يستثني الإسلام في هذا الباب قتل الإنسان لنفسه. فنفس الإنسان ليست ملكاً له، بل هي ملك لله الذي خلقها وسواها، وهو القائل عز وجل : {ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً}. وفي حديث متفق عليه، قال رسول الله ص : (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تحسَّى سمّاً فقتل نفسه فسمّهُ في يده يتحسّاه في نارجهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً). ويكون بذلك المنتحر في مرتبة المجرم القاتل ضداً في مشيئة الله.

٣- المرأة والرجل متساويان في الكرامة والعدل. قال تعالى : { من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة}. وقال كذلك : { فاستجاب لهم

ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى} وقال رسول الله ص : (النساء شقائق الرجال) .

٤- يتعين احترام الحق في الديانة استجابة لقوله تعالى : {لا إكراه في الدين}. وقال سبحانه كذلك : { أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين}. ومفاد هذا التكليف أن الإيمان الحقيقي يكون نتيجة للاقتناع وحرية الاختيار.

٥- يتعين احترام حرية الإنسان ولا يجوز استعباده أو قهره أو استغلاله. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).

٦- يتعين احترام حق الإنسان في الأمن على نفسه وماله وعرضه.

٧- يتعين صيانة حق الإنسان في التعبير بكل حرية عن رأيه ما دامت آراؤه لا تخالف الأحكام الشرعية.

٨- يتعين حماية حق الإنسان في الدفاع عن مصالحه دون الخروج عن محجة الشرع. وإذا كان البشر مُكَرَّما من قبل البشر في إعلانات حقوق الإنسان الوضعية، فهو مكرَّم في الإسلام تكريماً إلهياً شرعياً لا يجوز لأحد أن يحرمه منه. وبما أن احترام حقوق الإنسان في الإسلام يعتبر تكليفاً ربانياً، فلا يسع المؤمن إلا أن يقوم بذلك مدركاً أن تعطيل ذلك أو التهاون بشأنه يُعَدُّ تقصيراً في العبادة.